

معركة عين جالوت والشرعية المملوكية: دراسة في الذاكرة التاريخية للمعركة

The Battle of Ayn Jalut and Mamluk Legitimacy: A Study of the Battle's Historical Memory

Beesan Qandeel

بيسان قنديل

Independent Researcher

باحثة مستقلة

[beesanqandeel18@gmail.com](mailto:beesanqandeel18@gmail.com)

ملخص

تتناول هذه الدراسة معركة عين جالوت (658هـ/1260م) بوصفها حدثاً إشكالياً تجاوز حدود المواجهة العسكرية بين المماليك والمغول، ليصبح عنصراً مركزياً في تشكيل الذاكرة التاريخية الإسلامية وبناء شرعية المملوكية. تعتمد الدراسة مقارنة نقدية تنطلق من مفهوم الذاكرة التاريخية، وتبحث في كيفية إعادة توظيف المعركة في السرديات المملوكية والتاريخية والدينية لتجاوز أزمة الشرعية التي واجهها المماليك في بدايات حكمهم، بحكم أصولهم الاجتماعية وصعودهم إلى السلطة. تُظهر الدراسة الدور المحوري الذي لعبه المؤرخون والعلماء في إضفاء طابع رمزي وديني على النصر، عبر ربطه بمفاهيم الجهاد والتأييد الإلهي، وتصوير المماليك بوصفهم حماة الإسلام في مواجهة الخطر المغولي، خاصة بعد سقوط بغداد. كما تناقش الدراسة التباينات في تفسير المعركة بين المصادر التقليدية والدراسات الحديثة، لتخلص إلى أن أهمية عين جالوت تكمن في بعدها الرمزي ودورها في الذاكرة الجماعية أكثر من نتائجها العسكرية المباشرة.

الكلمات المفتاحية: عين جالوت، المماليك، المغول، الجهاد، الذاكرة التاريخية.

Abstract

This study examines the Battle of Ayn Jalut (658 AH/1260 CE) as a problematic historical event that transcended its military dimension to become a central element in the construction of Islamic historical memory and Mamluk political legitimacy. Drawing on the concept of historical memory, the article analyzes how Mamluk historical and religious narratives reinterpreted the battle to address the legitimacy crisis faced by the Mamluks in the early years of their rule, given their social origins and rise to power. The study highlights the role of historians and religious scholars in sacralizing the victory by linking it to jihad and divine support, portraying the Mamluks as protectors of Islam against the Mongol threat, particularly after the fall of Baghdad in 1258. It also discusses divergences between traditional narratives and modern historiography, concluding that the significance of Ayn Jalut lies primarily in its symbolic and mnemonic function rather than in its immediate military outcomes.

**Keywords:** Ayn Jalut, Mamluks, Mongols, Jihad, Historical memory.

Received: 11-12-2025 | Accepted: 08-01-2026 | Published: 10-04-2026

نشأت الإمبراطورية المغولية من اتحاد قبائل مغولية وتركية بقيادة جنكيز خان، وتمكنت بسرعة من غزو آسيا الوسطى والتوسع غرباً نحو العالم الإسلامي، بلغ هذا التوسع ذروته في عام 656هـ/1258م، عندما اجتاح المغول بغداد بقيادة هولاكو، مما أدى إلى سقوط الخلافة العباسية، التي كانت تمثل رمز السلطة الدينية في العالم الإسلامي، ومن ثم احتلالهم لسوريا، خلال هذه الفترة، بقي المماليك في مصر القوة الإسلامية الوحيدة المستقلة، انضم إليهم مقاتلون من جيوش الأيوبيين المهزومة ومن قبائل البدو والتركمان والأكراد، حيث قاد السلطان المملوكي قطز الجيش المصري المدعوم من حلفائه. وفي سياق التوتر السياسي والديني، أرسل المغول قوات صغيرة بهدف تهيب السكان وإضعاف المقاومة المحلية، بينما عمل المماليك على حشد جيشهم ونسج تحالفات، مثل التفاوض مع الصليبيين في عكا لضمان حيادهم، بالتالي في 25 رمضان 658هـ/3 سبتمبر 1260م، اندلعت معركة عين جالوت، التي كانت نقطة تحول في تاريخ المنطقة، وعلى الرغم الصعوبات التي واجهها المماليك في بداية المعركة، تمكنوا في النهاية من تحقيق النصر بفضل إعادة التنظيم الفعالة والمقاومة المستمرة. كان قد قتل قائد المغول كتبغا في المعركة، مما أدى إلى انهيار الجيش المغولي وفرار الناجين الذين تم ملاحقتهم وقتلهم، ومع أن الروايات التاريخية المتعلقة بالمعركة تختلف في بعض التفاصيل، فإنها تظهر تباينات تعكس تفاعلات الذاكرة التاريخية مع الأحداث، فعلى الرغم من تضخيم هذا الانتصار في السرديات التاريخية نتيجة شعور اليأس الذي ساد المنطقة بعد الغزو المغولي، تعكس هذه الروايات كيف أن الذاكرة التاريخية، وهي عملية تفاعل بين الواقع والتفسير والرهانات على السلطة، قد لعبت دوراً في تشكيل الصورة البطولية للمماليك كمجاهدين مخلصين للإسلام، وأثر ذلك في تعزيز شرعيتهم السياسية، في الوقت نفسه، تظهر كيف تم استدعاء هذا الحدث لإعادة بناء نوع من الوحدة الإسلامية وفرض سلطة مملوكية قائمة على النصر العسكري والشرعية الدينية.

في بدايات حكمهم، واجه المماليك تحدياً كبيراً في تثبيت شرعيتهم، حيث ارتبطت هذه الشرعية بأصولهم كعبيد وصعودهم إلى السلطة بانقلابهم على الأيوبيين، في ظل هذه الأزمة، أدرك المماليك ضرورة إعادة صياغة شرعيتهم السياسية والدينية لتبرير حكمهم أمام المسلمين، وبالتالي، عملوا على تصوير أنفسهم كحماة للإسلام ومجاهدين مخلصين في سبيله، مستغلين الأحداث المفصلية لتأكيد شرعيتهم، فشكلت معركة عين جالوت نقطة تحول محورية في هذا السياق، إذ لم تكن مجرد مواجهة عسكرية بين المماليك والمغول، بل كانت أداة استراتيجية لإعادة تعريف مشروعية سلطتهم، حيث

أظهرت المعركة التزام المماليك بالدفاع عن الإسلام في مواجهة الخطر المغولي، عدا عن أن هذا الانتصار لم يثبت فقط كفاءتهم العسكرية، بل أسهم في إضفاء بعد ديني على حكمهم، حيث استخدم النصر كدليل على التأييد الإلهي لحكمهم، وقد لعب العلماء دوراً مركزياً في هذا المشروع، من خلال توظيف خطاب ديني يربط النصر بأهلية المماليك لقيادة الأمة، وأسهم هذا الخطاب كذلك في تعزيز صورة المماليك كقادة شرعيين وحماة للديار الإسلامية، وهو ما ساعد على تجاوز أزمة شرعيتهم الأولية.

وهذا اعتبرت معركة عين جالوت (658 هـ/1260 م) واحدة من أبرز المحطات التاريخية التي تركت بصمة عميقة في الذاكرة الجماعية الإسلامية. يعكس تناول هذه المعركة في المصادر التاريخية الإسلامية عملية معقدة من إعادة البناء التاريخي، حيث امتزجت الرواية الواقعية بالعناصر الأسطورية لتلبية احتياجات سياسية واجتماعية في سياق عصرها، لذلك يمثل مفهوم الذاكرة التاريخية إطاراً حيويًا لفهم كيف تم استدعاء معركة عين جالوت في السرديات المملوكية بوصفها "حدثاً نموذجياً"، يستعاد في لحظات الأزمات لإعادة تأكيد شرعية السلطة ودورها في حماية الإسلام، لإضفاء طابع مقدس على هذا الانتصار. لذلك تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف التفاعل بين الذاكرة والتاريخ في السرديات المملوكية لمعركة عين جالوت، من خلال تحليل الرمزية التي أضافتها المجموعات المهيمنة، خاصة المؤرخين المماليك والعلماء في تأريخهم حول هذه المعركة، كما سنبحث في كيفية استخدام هذه الروايات لإعادة بناء الهوية الإسلامية في مواجهة أعداء خارجيين كالخطر المغولي، وقضايا داخلية كشرعية السلطة المملوكية، لتوضيح كيف أصبح هذا الحدث جزءاً من الذاكرة التاريخية الإسلامية الحية.

فنتطر السؤال الآتي: كيف ساهمت معركة عين جالوت في تشكيل الذاكرة التاريخية الإسلامية وإعادة بناء شرعية السلطة المملوكية؟

الدراسات السابقة

في مقال <sup>1</sup> *Ayn Jālūt: Mamlūk Success or Mongol Failure?*، قدم جون سميث عام 1984 تحليلاً لمعركة عين جالوت مسلطاً الضوء على تأثيرها على كل من المماليك والمغول، وفقاً لسميث، لا يمكن النظر إلى المعركة كإنتصار عسكري

1 John Masson Smith. "Ayn Jālūt: Mamlūk Success or Mongol Failure?" *Harvard Journal of Asiatic Studies*, 44(2), (1984): 307-45.

للمماليك، بل كانت بمثابة نقطة تحول حاسمة في تاريخ المنطقة، حيث اعتبرت بأنها أوقفت التوسع المغولي في الشرق وأرست المماليك كقوة شرعية وقوية في المنطقة، ويشير سميث إلى أن نجاح المماليك لم يكن نتيجة لتفوقهم العسكري فحسب، بل كان أيضاً انتصاراً سياسياً استراتيجياً يعكس براعتهم في التنظيم والتخطيط الدفاعي، علاوة على ذلك، يوجهنا سميث إلى أن المعركة كشفت عن حدود الاستراتيجية العسكرية، على الرغم من قوتهم العسكرية، فقد أظهرت المعركة أن المغول يمكن هزيمتهم عندما يواجهون دفاعاً منظماً يتماشى مع الجغرافيا والديناميكيات المحلية، في سياق أوسع، ويرى سميث أن معركة عين جالوت كانت بمثابة انتكاسة كبيرة للمغول في طموحاتهم للهيمنة على العالم الإسلامي، على الرغم من أن إمبراطوريتهم بقيت قوة عظمى بعد المعركة في المجمل.

يعد كتاب *The Mongols*<sup>1</sup> لديفيد مورغان مرجعاً أساسياً في دراسة الإمبراطورية المغولية، وفهم ديناميكيات معركة عين جالوت، حيث يقدم مورغان تحليلاً شاملاً عن جنكيز خان وإرثه، بالإضافة إلى تأثير المغول على التاريخ العالمي، حيث يتناول مغول القرن الثالث عشر في سياق المجتمع البدوي وتنظيمه العسكري الفريد، مشيراً إلى أن جنكيز خان كان صاحب رؤية عالمية غير مسبوقة في تقاليد البدو الرحل، كما يرفض مورغان كغيره ممن كتب سابقاً عن الغزو المغولي، المبالغة في أثر تدمير الحملات المغولية، مؤكداً أن الانتصارات العسكرية كانت موجهة بعناية ضمن سياق سياسي واجتماعي معين، يعد الكتاب أكثر تفصيلاً من أعمال سابقة، حيث يغطي موضوع المغول بعمق ويقدم دراسة نقدية وتحليلية للقضايا المتعلقة بتاريخهم، إن العلاقة الفكرية بين مورغان وجون سميث تبرز الاختلافات بين المنهجين المتبعين في تفسير التاريخ المغولي، في حين يتبنى سميث منهجاً مادياً ولوجستياً يركز فيه على الجوانب العسكرية والعملية، يدافع مورغان عن تفسير أيديولوجي ورمزي يركز على ديناميكيات السلطة والسياسة المغولية، يعكس هذا الخلاف بينهما النقاش الأكاديمي الأوسع حول دراسة الإمبراطورية المغولية.

في دراسة بعنوان *الخلفاء العباسيين في ظل دولة المماليك*<sup>2</sup> عام 1978، تناول عبد المجيد أبو الفتوح بدوي إحياء الخلافة العباسية في القاهرة بعد سقوط بغداد، مقدماً عرضاً تاريخياً موجزاً للظروف التي أحاطت بإعادة إحياء الخلافة،

1 David Morgan. *The Mongols*. Malden, Mass: Blackwell, 1986.

2 عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، "الخلفاء العباسيون في ظل دولة المماليك"، *مجلة كلية العلوم*، عدد8، (مصر: جامعة القاهرة، 1978).

ركز بدوي على مجموعة من القضايا المحورية التي أثارت اهتمام المؤرخين القدامى والمحدثين، مثل مدى شرعية هذا الإحياء، والخلفيات السياسية والدينية التي دفعت المماليك إلى هذه الخطوة، والأساليب التي اعتمدها لتعزيز شرعيتهم السياسية والدينية، وعلى الرغم من أن الدراسة لا تتناول معركة عين جالوت بشكل مباشر، فإنها توفر سياقاً مهماً لفهم التحديات التي واجهها المماليك في بناء شرعيتهم، تُبرز الدراسة كيف استخدم المماليك الخلافة العباسية كأداة رمزية لإضفاء الشرعية على حكمهم، خاصة في ظل أصولهم الاجتماعية كعبيد محررين وصعودهم إلى السلطة عبر الانقلاب على الأيوبيين. كما توضح أن إعادة إحياء الخلافة لم تكن مجرد استعادة شكلية لمنصب ديني، بل كانت جزءاً من مشروع أوسع لتعزيز الصورة السياسية للمماليك كحماة للإسلام وحملة لواء الدفاع عن الأمة في وجه التهديدات الخارجية، لا سيما الغزو المغولي، تعد هذه الدراسة مرجعاً مهماً لفهم الأطر التي شكلت شرعية الدولة المملوكية، والعلاقة المتشابكة بين القوة العسكرية، الرمزية الدينية، والشرعية السياسية، مما يوفر خلفية ضرورية لفهم دور الأحداث الكبرى مثل معركة عين جالوت في تعزيز تلك الشرعية.

### المحور الأول: المعركة، الذاكرة، وسردية التهديد الوجودي

تُعد المعارك، وخاصة الانتصارات العسكرية الكبرى، من أبرز الأدوات التي تستخدم في التاريخ والذاكرة لتأكيد الشرعية، حيث يتم تقديم هذه المعارك كدليل على الكفاءة السياسية والعسكرية للسلطة الحاكمة، مما يعزز صورة القائد كمنقذ للشعب أو الأمة، في هذا السياق، تصبح المعارك وسيلة لإعادة تشكيل السردية التاريخية، حيث يتم التركيز على انتصارات بعينها مع إهمال الهزائم أو التقليل من شأنها، فيتم تضخيم رمزية المعركة من خلال توظيفها في الخطاب العام، سواء عبر النصوص التاريخية، أو الأدب، أو الفنون البصرية، وبالتالي، تتحول المعركة إلى رمز يتجاوز البعد العسكري لتصبح جزءاً من الذاكرة الجماعية، وباستخدام الدين كوسيلة، يتم تصوير المعارك على أنها ليست فقط نزاعات سياسية أو عسكرية، بل أيضاً صراعات مقدسة، مما يعزز فكرة أن النصر ليس نصراً عسكرياً فقط، بل هو أيضاً تأكيد على الدعم الإلهي، مما يضيف على الحاكم أو النظام صفة شرعية دينية، في حالة المماليك، استخدمت معركة عين جالوت لإظهار قدرتهم على الدفاع عن العالم الإسلامي ضد خطر خارجي يتمثل في المغول، حيث ربط هذا الخطر بمسألة



الجهاد، فكما يشير لنا برنارد لويس أن العلاقة بين العالم الإسلامي وعالم الكفر علاقة واحدة وهي الحرب الصريحة المعلنة أو الكامنة فلا سلام ولا اتفاق بينهما حتى ينتصر أحدهما على الآخر.<sup>1</sup>

نجد بأن الحروب ارتبطت في الذاكرة الإسلامية غالباً بالصراع مع القوى المسيحية، مثل الحروب الصليبية، التي رغم خطورتها، لم تعتبر تهديداً وجودياً للإسلام، إذ استطاع قادة مثل صلاح الدين الأيوبي مواجهتها بنجاح، في المقابل، مثل الغزو المغولي تهديداً غير مسبوق، حيث شكل سقوط بغداد عام 1258 وانهايار الخلافة العباسية بما يوصف بالـ"الكارثة الكبرى للعالم الإسلامي"، فنرى بأن المؤرخ موسى بن محمد اليونيني قام بالتأريخ لهذه الحادثة بأنها داهية، فيقول: "وما دهي الإسلام بداهية أعظم من هذه الداهية ولا أقطع."<sup>2</sup> فقد أسس هذا الحدث -أي سقوط بغداد- لفهم جديد لطبيعة التهديدات التي تواجه العالم الإسلامي، إذ مثل المغول قوة تدميرية "خارجة عن المألوف" كما يصفها البعض في تاريخ الصراعات الإسلامية، مما جعل هذا السقوط يخلد في الروايات التاريخية كرمز لفقدان مركزية الإسلام السياسية والثقافية في ذلك العصر، وقد تصاعد هذا التهديد ليزيد من الشعور باليأس في العالم الإسلامي، خاصة أن المناطق الغربية منه، رغم عدم وقوعها تحت السيطرة المغولية، كانت تعاني من حالة من الضعف السياسي والتفكك، ففي ظل انهيار الإمارات الأيوبية، برز المماليك في مصر كالقوة المستقلة الوحيدة القادرة على التصدي لهذا الخطر، ومع ذلك، كان حكمهم يعاني حالة من عدم الاستقرار نتيجة الصراعات العنيفة فيما بينهم على السلطة التي أعقبت انقلابهم على الأيوبيين، مما أضاف إلى تعقيد المشهد السياسي في تلك الفترة الحرجة.

اعتمد المؤرخون المسلمون على استراتيجيات سردية لتضخيم تهديد المغول، من خلال بناء ثنائية رمزية بين الإسلام، الذي يمثل الخير والعدل الإلهي، والمغول، الذين جُسدوا كرمز للنشر والفوضى، ركزت هذه السرديات على رفض فكرة "الحكم الإلهي" التي ادعى المغول أنها تمنحهم شرعية عالمية، واعتبارها زائفة ومناقضة لرؤية الإسلام للنظام العالمي القائم على العدالة، ولتعزير هذا الإطار، وصف المؤرخون المغول بالوحشية والقسوة، بينما شددوا على قيم الإسلام مثل الرحمة، حماية الضعفاء، ونشر العدل، هذه الروايات لم تكن مجرد تسجيل للأحداث، بل أداة لإعادة صياغة هوية إسلامية موحدة في وجه التهديد المغولي، ولترسيخ ذاكرة جماعية تصور الغزو كصراع وجودي بين الإسلام كحامل للنظام الإلهي

1 برنارد لويس. لغة السياسة في الإسلام، (الاسكندرية: دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، 1993)، ص 117.

2 قطب الدين اليونيني. قبيل مرآة الزمان، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 1992)، ص 85.

والمغول كقوة مدمرة تسعى لزعزعتة، فتم تصوير قادة المغول في الروايات الإسلامية كرموز للقذارة وانعدام التحضر، حيث نسبت إليهم أفعال غير لائقة لتأكيد هذه الصورة السلبية، من ذلك ما ورد من روايات عن كتبغا في حلب، حيث ذكر بأنه ارتكب أفعالاً مشينة في المسجد وأمام العامة، مما ساهم في ترسيخ هذه الصورة لدى المسلمين، حتى بعد اعتناق المغول للإسلام في القرن الخامس عشر ومساهماتهم في الثقافة الإسلامية، استمر المؤرخون في تصويرهم بشكل سلبي، على سبيل المثال، وصفهم جلال الدين السيوطي بأنهم عبدة الشمس وغير متمدنين، مدعياً أنهم يأكلون لحوم البشر ولا يعترفون بقيم الزواج، وقصدهم إفناء النوع، وإبادة العالم، لا قصد الملك والمال<sup>(1)</sup>، مما يعكس استمرارية النظرة المتحاملة عليهم في الذاكرة التاريخية الإسلامية.

### المحور الثاني: عين جالوت وإنتاج الشرعية المملوكية

أشار المؤرخ ابن دقماق، الذي عاش في نهاية القرن الرابع عشر، بشكل صريح إلى أن المماليك استحقوا الحكم كجزء من مكافأتهم على دفاعهم عن الإسلام، وقد أكد على دعوة قطز للأمراء للقتال، حيث قال: "وقد علمتم أنّ أيدي التتار تحكمت في الشام وقد أوهنوا قوى دين الاسلام، وقد لحقني على نصرة دين الاسلام الحمية، فيجب عليكم يا عباد الله القيام في جهاد أعداء الله حق القيام، يا قوم جاهدوا في الله بصدق النية تجارتكم رابحة وأنا واحد منكم"<sup>2</sup>، مما يصور المماليك على أنهم منتخبون من قبل الله لحماية الإسلام، في هذا السياق، يعتبر تاريخهم جزءاً من الذاكرة التي تصاغ لتدعيم شرعية حكمهم وربطهم بمفاهيم دينية مثل "الجهاد" و"النية الصافية"، هذا التوظيف للذاكرة التاريخية يهدف إلى تثبيت مكانتهم في التاريخ باعتبارهم جزءاً من مشروع إلهي أكبر، مما يعزز الاستمرارية السياسية والدينية لهم، وبينما تناولت المصادر التقليدية شخصية قطز ودوره المحوري في معركة عين جالوت بأسلوب يمزج بين التاريخ والأسطورة، فقد ركز مؤرخون مثل ابن الجزري واليونيبي على أصول قطز الملكية، مما أضفى عليه هالة من الشرعية والنبيل، وقدموا روايات تعكس شجاعته الاستثنائية، هذه السرديات أبرزت قطز ليس فقط كقائد عسكري، بل كبطل ذو دور استثنائي في حماية الإسلام وإنقاذ الأمة، يعكس هذا التركيز على شخصية قطز اهتمام المصادر التقليدية بتعظيم الرموز القيادية في الإسلام وإبرازها كنماذج ملهمة للأجيال اللاحقة، من خلال تصوير قطز كشخصية قدرية تتمتع بالشجاعة والتفاني، سعت هذه

1 جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء (القاهرة: مكتبة نزار مصطفى الباز، 2004)، ص 329-331.

2 صارم الدين إبراهيم ابن دقماق، نزهة الانام في تاريخ الإسلام (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1999)، ص 264.

الروايات إلى غرس فكرة أن النصر في عين جالوت كان نتيجة لإرادة إلهية متجسدة في قيادة قطز، هذا النوع من السرد يعطي الأولوية لدور القائد البطولي كجزء من الهوية الإسلامية الجامعة، مما يجعل قصته أداة قوية لتعزيز القيم السياسية والدينية في السياقات التي كتبت فيها<sup>1</sup>.

تم تصوير الانتصار المملوكي في عين جالوت على أنه إيذان بصعود سلطنة القاهرة كقوة إقليمية لا تقهر، حيث أثبت المماليك أنفسهم كحكام بلا منازع بعد هزيمة المغول الذين اعتُبروا "لا يُهزمون"، تعكس معركة عين جالوت صورة معقدة حول فكرة "الأسطورة المغولية التي لا تُقهر"، فرغم الهزيمة، استمرت الإيلخانية في تجسيد رؤيتها الإمبراطورية المستمدة من "القدر السماوي" الذي منح جنكيز خان وأحفاده الحق في حكم العالم، هذا الإيمان الراسخ بدورهم التاريخي كان له تأثير طويل الأمد على سياساتهم، حيث لم تكن الهزيمة في عين جالوت سوى انتكاسة مؤقتة بالنسبة لهم، بينما شكلت للمماليك بداية جديدة لتوطيد نفوذهم في المنطقة، وقد قيل أيضاً أن الهزيمة المطلقة للمغول أنهت طموحاتهم في الشرق ووجهت ضربة حاسمة لأيديولوجيتهم الإمبراطورية التي دعمت غزواتهم، كما نرى نفس الرأي عند جون سميث، ومع ذلك، انتقد باحثون مثل بيتر جاكسون وروفين أميتاي هذه الأطروحات لعدم أخذها المعركة في سياقها الأوسع، فبالاشك معركة عين جالوت، التي هزم فيها المماليك بقيادة السلطان قطز المغول بقيادة كتبغا، تعد محطة بارزة في تاريخ الصراعات بين الطرفين، ورغم اعتبارها نقطة تحول أوقفت توسع المغول في الشرق، يشير الباحثون إلى مبالغاة تاريخية مثل الادعاء بأنها دمرت "أسطورة المغول التي لا تقهر"، حيث استمر المغول بمحاولاتهم غزو سوريا حتى عام 1312، اختلفت الآراء حول أسباب الهزيمة، فبينما يرى جون سميث أن تفوق المماليك يعود إلى احترافيتهم وتدريبهم الأفضل، يعتقد ديفيد مورغان أن العوامل اللوجستية، كافتقار موقع المغول العسكري للمراعي والمياه، لعبت دوراً أساسياً. غير أن روفين أميتاي شكك في هذه التفسيرات، مشيراً إلى تنوع جيش المغول وقدرتهم على التكيف مع الظروف، كما أن اختلاف أولويات الطرفين جعل سوريا ذات أهمية استراتيجية للمماليك أكثر من الإيلخانيين، مما انعكس على تركيز المصادر العربية على هذه المعارك

1 Amalia Levanoni. 2015. "The Battle of Ayn Jalut: A Paradigmatic Historical Event in Social and Political Discourses during the Mamluk Period." *Academia.edu.* )2015(: 11-13.

مقارنة بالمصادر الفارسية، بذلك، لم تكن المعركة مجرد انتصار عسكري، بل جزءاً من صراع أوسع تداخلت فيه الظروف البيئية والتحالفات والأولويات السياسية، بالإضافة إلى ذلك، كانت الهزيمة في عين جالوت تستدعي الانتقام من قبل المغول، فاستمرت فكرة "القدر الإمبراطوري" التي كلف بها جنكيز خان من السماء في التأثير على سياسات الإيلخانيين تجاه سوريا على مدى ستة عقود بعد المعركة<sup>1</sup>.

في خضم النقاشات حول أهمية عين جالوت يتضح أن تفسير المعركة لا يقتصر على الانتصار المملوكي الباهر، بل يجب وضعها ضمن سياق أوسع يعكس تعقيد الصراعات في ذلك الوقت، فقد أبرزت المعركة قدرة المماليك على الصمود والتكيف أمام قوى عظمى كالمغول، وهو ما أكسبهم شرعية إقليمية وجعلهم ركيزة أساسية في مقاومة القوى الخارجية، مما رسخ مكانتهم كحماة للعالم الإسلامي، فأثبتت الدراسات الحديثة أن تصوير هزيمة المغول كضربة نهائية لطموحاتهم الإمبراطورية في المنطقة مبالغ فيه، فالإيلخانيون واصلوا محاولاتهم للسيطرة على سوريا لعقود بعد عين جالوت كما ذكرنا، مما يدل على استمرار صراع القوى الإقليمية الذي لم تحسمه المعركة بشكل كامل، هذا يظهر أن المعركة كانت مجرد محطة ضمن سياق أوسع من المواجهات المتواصلة التي تأثرت بعوامل لوجستية واستراتيجية، منها البيئة القاسية والتغيرات في التحالفات السياسية، كما أن المعركة أظهرت الفرق في الأولويات بين الطرفين، بالنسبة للمماليك، كانت سوريا منطقة حيوية لا يمكن التفريط بها، نظراً لقربها من مصر وموقعها كخط دفاع أولي ضد أي تهديد خارجي، أما بالنسبة للإيلخانيين، فرغم اهتمامهم بالمنطقة، لم تكن سوريا تشكل الهدف الأسمى بقدر ما كانت جزءاً من طموحهم الأوسع للهيمنة الإمبراطورية، ما انعكس في اختلاف تركيز المصادر التاريخية لكل طرف.

علاوة على ذلك، تكشف هذه النقاشات عن دور التحالفات في تشكيل مسار الأحداث، فالصراع بين المغول والمماليك لم يكن مجرد مواجهة عسكرية، بل تداخلت فيه العديد من القوى، مثل الصليبيين والإمارات المحلية التي لعبت دوراً في تحديد توازن القوى، هذه التشابكات تجعل من معركة عين جالوت حدثاً متعدد الأبعاد، يتجاوز الروايات التقليدية عن النصر والهزيمة ليتناول الجوانب السياسية والاجتماعية التي أثرت على مصير المنطقة بأسرها، لذلك، يمكن القول إن

1 Charles J. Halperin. "The Kipchak Connection: The Ilkhans, the Mamluks and Ayn Jalut." *Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London* 63(2), (2000): 229-45.

أهمية معركة عين جالوت تكمن ليس فقط في نتائجها المباشرة، بل أيضاً في ما تمثله من تحول في ديناميكيات السلطة والصراع في المنطقة.

النصر في عين جالوت لم يكفٍ لإزالة الشكوك حول أصول المماليك كعبيد، لذا، جاء إحياء الخلافة كوسيلة لإضفاء الشرعية على سلطتهم، وبينما نظر المؤرخون القدامى إلى هذا الحدث على أنه إنجاز عظيم أعاد للأمة الإسلامية الثقة بعد هزيمتها المروعة أمام المغول، رأى المؤرخون المحدثون، مثل توماس أرنولد وبروكلمان وغيرهم، أن المماليك كانوا يهدفون بشكل أساسي إلى تحقيق مكاسب سياسية عملية، فقد كانت دولتهم، التي قامت على حكم عبيد سابقين، تفتقر إلى الشرعية، ما جعلهم في حاجة ماسة إلى مظلة رمزية تضيفي على حكمهم قبولاً بين المسلمين، إلى جانب تعزيز شرعيتهم، كان لإحياء الخلافة دور في ترسيخ مكانة مصر كمركز قيادة للعالم الإسلامي، فقد استغل المماليك وجود الخليفة في القاهرة كرمز ديني يمنحهم الهيمنة على بقية أمراء المسلمين، إذ لم يكن من السهل على حكام العالم الإسلامي الخضوع لمماليك أرقاء، إلا بوجود مؤسسة الخلافة في كنفهم، رغم هذه الأهداف السياسية الواضحة، لا يمكن إنكار البعد العاطفي لهذه الخطوة، حيث كانت مشاعر المسلمين، الذين عانوا مرارة الهزيمة وسقوط بغداد، متجهة نحو إحياء الخلافة كرمز للوحدة واستعادة "الكرامة الإسلامية".<sup>1</sup>

#### خاتمة

يجسد النقاش حول معركة عين جالوت التوتر المستمر بين التاريخ بوصفه علماً يهدف إلى تفسير الأحداث والذاكرة كأداة لإعادة صياغة الماضي بما يخدم الحاضر. الذاكرة هنا ليست محايدة، بل هي انتقائية ومرتبطة بالأيديولوجيات والهويات الجماعية، في حالة المماليك، استخدمت الذاكرة لتبرير حكمهم وتعزيز مكانتهم كمدافعين عن الإسلام، أما في السياق العالمي، فقد باتت المعركة مجالاً لتفسيرات مختلفة تعكس التنافس بين القوى الكبرى والنقاشات المستمرة حول التحالفات السياسية والعسكرية، في هذا الإطار، تصبح معركة عين جالوت ليس مجرد حدث تاريخي، بل نموذجاً لفهم دور الذاكرة والتاريخ في تشكيل السرديات الكبرى التي تؤثر على فهم الماضي وتوجيه السياسات والمواقف، في سياق التاريخ الإسلامي، تتداخل الذاكرة مع الهوية الدينية والسياسية، حيث تصبح الأحداث التاريخية مرجعية لبناء الشرعية وتأكيد

1 عبد المجيد أبو الفتوح بدوي. "الخلفاء العباسيون في ظل دولة المماليك"، مجلة كلية العلوم، عدد 8 (مصر: جامعة القاهرة، 1978).

الولاء للأمة الإسلامية. من خلال إعادة تدوير بعض الأحداث، كما في معركة عين جالوت، يتم تشكيل سرديات تاريخية تعزز من قوة الهوية الإسلامية وتعيد تجسيدها في كل مرحلة من مراحل التاريخ. هذه الذاكرة الحية لا تعبر فقط عن أحداث ماضية، بل تساهم في تكوين الأسس التي تحدد دور الأمة الإسلامية في العالم، فالذاكرة الجماعية الإسلامية تستمد قوتها من قدرتها على تأطير التاريخ في إطار ديني ورمزي، مما يعزز من استمراريته وفعاليتها في الأجيال القادمة.

## References | المراجع

- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم. نزهة الانام في تاريخ الإسلام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر: بيروت، 1999.
- السيوطي، جلال الدين. تاريخ الخلفاء، مكتبة نزار مصطفى الباز، 2004.
- عبد المجيد أبو الفتوح، بدوي. "الخلفاء العباسيون في ظل دولة المماليك"، مجلة كلية العلوم، جامعة القاهرة: مصر، عدد 8، 1978.
- اليونيني، قطب الدين. ذيل مرآة الزمان، ط2، دار الكتاب الإسلامي: القاهرة، 1992.
- Halperin, Charles J. "The Kipchak Connection: The Ilkhans, the Mamluks and Ayn Jalut." *Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London* 63, no. 2 (2000).
- Levanoni, Amalia. 2015. "The Battle of Ayn Jalut: A Paradigmatic Historical Event in Social and Political Discourses during the Mamluk Period." *Academia.edu*. May 9, 2015.
- Morgan, David. *The Mongols*. Malden, Mass: Blackwell, 1986.
- Smith, John Masson. "Ayn Jālūt: Mamlūk Success or Mongol Failure?" *Harvard Journal of Asiatic Studies* 44, no. 2 (1984).